تدريب منهجي

السؤال: هل الانية كيان مستقلّ عن الغيرية؟

مقدمة: على الرغم من كون الفلسفة تبحث في مسائل ميتافيزيقية مثل الوجود فإنها لم تنفكّ عن مساءلة الإنسان عن معاني انيته وشروط تحققها....

أو نشهد توترا قائما بين ما يفترضه الوجود الانساني من اعتبار الانية ماهية متعالية تشترط أساسا استبعاد كل ضروب الغيرية وبين ما يسود الواقع من علاقات مع الغير بوصفه مقوما لوجود الانية وإمكان تحققها. ولهذا كانت الحاجة إلى التفكير في...

فما الذي يحدد انية الإنسان؟ هل تتحدد بالتفكير في استقلال تام عن الغيرية أم في الانفتاح عليها تجعل من الجسد أو الآخر مكوّنا أساسيا لها؟

الجوهر

1 . الانية والتعالي عن الغيرية: السؤال الأساس في الفلسفة هو الانسان وانيته التي تفيد من الناحية المعجمية - اللغوية على وجه العموم تحقق الوجود. ورد في معجم لالاند : " الانية هي ما يجعل الفرد هو نفسه ويتميّز عن غيره" ولعل من معاني الغيرية الاختلاف والمغايرة. كأن نشير إلى ما هو غير الأنا انطولوجيا شأن الجسد والعالم والتاريخ والغير شخص آخر أو الأنا آخر. إن البحث في الإنسان وانيته بحسب المطلب السقراطي: "أيها الإنسان اعرف نفسك بنفسك" يَحملنا على اعتبار الانية ماهية معطاة قائمة بذاتها وقد تحررت من الجسد وحواسه الذي شبهه افلاطون بـ"قبر النفس" ومن اقوى الحواس البصر الذي لا يدرك من الأشياء سوى مظهرها الحسي المحدود. وتتأتى من الجسد بوصفه غيرا أفكارا "خادعة". الا ان انية الانسان لا تشترط التحرر من الجسد واعتباره غيرا فحسب بل الاستقلال عن الآخر إذ يتحدّد الأنا بما هو ذاتية مُكتفية بذاتها وقد تخلصت من الآخر بوصفه مصدر الأحكام المُسبقة. هاهنا ينبجس مفهوم الانية من حيث هو " جوهر مفكر" بالتعبير الديكارتي وفق شروط اهمها العزلة والابتعاد عن الضوضاء او "فوضى شعب" باتجاه التفرغ للتأمل في الذات والبحث عن الحقيقة. وفضلا عن ذلك يبتغي الفيلسوف الترفع عن اقامة علاقات هدفها اشباع الملذات التي تجرّنا الى الرذيلة. واذا ما كانت للفلسفة قيمة على الصعيد الاخلاقي فهي في ما يقول ديكارت: "أن تعلّم الفرد بأن يصبح سيّد انفعالاته" ومن معاني السيادة التحكم في الاهواء والسيطرة عليها وهو ما يمثل شرطا لاكتشاف معنى الانية من حيث هي ذاتا واعية مستقلة عن الغير سواء كان جسدا او آخر. ويفضي هذا التصور الميتافيزيقي إلى الوقوع في الأنانة أي مركزية الذات كأن الذات تعيش في عالم مستقل عن عالم الأغيار. فهل تعرف الذات فعلا انيتها في صورة تعاليها عن الغيرية؟

2. في مبررات الانفتاح والحاجة الى الغيرية:

يستدعي الامر مراجعة مفهوم الانية مراجعة تجعل من الغيرية مكونا من مكوناتها واذا امعنّا النظر في التجارب ومختلف العلاقات مع الغير ندرك ان الانسان يسعى الى بذل جهد للمحافظة على وجوده وهو ما يصطلح عليه

سبينوزا بالكوناتوس. ويرتبط هذا الفهم [illegible] يتوقف فهم انية الانسان على معرفة "التوافق" / التطابق بين أفعال الجسد وأفعال النفس. وما يعبر عن وحدتهما هو الرغبة التي يُعرفها

سبينوزا بكونها "شهوة واعية". وتبعا لذلك، يكون الأنا رغبة والآخر رغبة والعلاقات البشرية هي علاقات بين كوناتوسات أو هي علاقات رغبوية. وبتعبير أخر ان فهم انية الانسان بوصفه رغبة هو الذي يتيح له بناء

علاقات مع الغير تتراوح بين الفرح والحزن ، الحب والكره ....وكل أنماط العلاقة مع الغير/ الآخر هي تعبيرات مختلفة عن الكوناتوس وأساسه الجهد بغاية المنفعة واثبات الوجود. فلا يمكن معالجة مفهوم الانية إلا في ضوء الانفتاح على الغير.

ليست الانية اذن كيانا مجردا متعاليا عن الجسد ولا هي ذات مستقلة عن الآخر وما حسبناه غيرا بكل معانيه اصبح مكونا أساسيا لها. ومن بين مستويات التاكيد على حاجة الانية الى الغيرية هو اعتبار الانسان كائنا في العالم، عالم الاشياء وعالم الآخرين يقول مرلوبونتي" لسنا فكرا ولسنا جسدا ولسنا وعيا تجاه العالم بل نحن فكر مُتجسّد كيان في العالم". ان الانية، على خلاف التصور الميتافيزيقي، هي الذات المتجسدة التي تدرك العالم ههنا تبرز العلاقة مع الغير على اعتبار كون العالم فضاء اللقاء بالغير لا لإعطاء معاني فحسب بل أيضا التشارك في إنشاء معاني وإقامة تجارب معرفية وعاطفية وثقافية وباختصار تجارب معيشة ترجع الى ما يُسميه مرلوبونتي "الجسد الخاص" باعتباره مصدر ادراكاتي وتجاربي العاطفية التي تدل جميعها على تجربة الأنا في إدراك العالم والانفتاح على الغير والمشاركة والتواصل معه وهو ما يُسمى بالبينذاتية باعتبارها وجودا علائقيا بمقتضاه تتاسس علاقة بين الأنا والعالم علاقة بين الذات والذوات الاخرى تعاطفا وصداقة.

لا يكون الغير بالضرورة ما يَمثل أمام الذات من ذوات اخرى فقد يكون الآخر كامنا في الذات نفسها ساكنا فيها ومؤثرا في تفكيرها وسلوكها وهو ما نلمسه في اعماق الحياة النفسية للفرد إذ لم يعد الانا بما هو وعي هو اساس انيتنا. مما يدعو إلى الغوص في أعماق الإنسان والتّخلّي عن اعتبار العقل [الوعي] جوهر الحياة النفسيّة ولهذا احدث فرويد رجة في الفكر البشري لا في تقويض الذّات الواعية المُغترّة بذاتها وإنّما في تحديد مفهوم الانية من جهة كونها وحدة مُركّبة نفسيّة ديناميكيّة تتَنازعها دوافع لاواعية مكبوتة وأوامر أخلاقيّة اجتماعيّة وهو ما يفضي إلى إعادة فهم العلاقات مع الغير. إن الإقرار باللاّوعي من حيث هو رغبات مكبوتة هو تقويض لسيادة الذات الواعية وبساطتها وتميزها وبراءتها. يقول فرويد: "لم يعد الأنا سيّداً حتّى في بيته"، لقد صار الأنا لعبة بين قوتين الدوافع ومطلب اللذة من جهة والموانع واوامر المجتمع من جهة اخرى فيحدث الكبت او الاشباع التعويضي والرياء الديبلوماسي ههنا يظهر بوضوح أنّ الآخر الذي نَدّعي استقلاليّته عنّا يسكن الأعماق اللاواعية لذواتنا. وهو ما يؤكّد أنّ ما كان غيراً أصبح مكوّناً لإنّية الإنسان وما كان خارجيّا أصبح داخليّا. مما يؤدي الى اعتبار انه لا انية دون الحفر في اعماق الذات والتعرف على بنيتها النفسية المتكثرة الديناميكية.

+يتأكد لدينا ان الغير يسهم في تحقيق الانية وقيمتها على الصعيد المعرفي والاجتماعي فالانية وجود علائقي.

-ولكن قد يصبح الغير في ظل ظروف [illegible] سبب لسلب الانية ومثاله المجتمع الطبقي وبروز الطبقة البورجوازية. فليس الغير شرط اضفاء المعنى على الانية بل هو مصدر اغترابها/استلابها. لأن انية الإنسان في تقديرنا هي انية حرة ومتطورة ومفتوحة على الغير.

-وفضلا عن ذلك تتكوّن الانية من جوانب متعددة بيولوجية ونفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية فالإنسان أو الانية "وحدة متكثرة أو كثرة موحدة" بتعبير موران وهو ليس ماهية بسيطة مختزلة ومتعالية وانما "كائن مُركب" أي متعدد الأبعاد.

خاتمة: نستنتج مما تقدم أن الإنسان بقدر ما يدعي معرفة انيته على اعتبار أنها نفس أو جوهر مفكر فان مثل هذا الفهم يفضي إلى استبعاد الغير وعلى قدر ذلك يكون منغلقا على ذاته. ويكمن الحل في الانفتاح على الغير وتحويل العلاقات مع الغير من علاقات صراع الى صداقة تتجسم في ايتيقا التواصل.